طريقة الإلمام والتصور في عرض كتاب المقدمة الآجرومية وأثرها في تحقيق الكفاية الإعرابية .

أ. عبد الرؤوف عباس
جامعة الجزائر (2)

ملخص:

Summary article :

This method relies on the origins of the expression according to the specialists in the science.

Where the recipient knows the assets and then fork has branches, and shows him how they relate to each other. The University student became his most likely for this . Try to co the idea take aspects of this article or gauge , Show him that made it speak, And what is this talk,

And each of its sections marks, And if this be portrayed as dropping expression, And then show him express sections, And against a building, And details of each section, and related.

Which is how the son built Ibn Adjroum writing (submitted by adjurrumiyah) ; This article shows how to use this method of providing lessons to specialized undergraduate.

عرض المقال:

من خلال تجربتي مع التدريس، ومن خلال الواقع المشاهد مع الطالب الجامعي في قسم اللغة العربية خاصة، يتجلّى ما آل إليه المستوى الدراسي في أغلب المقاييس، والنظر في مقياس النحو والصرف هو ما جعلني أدرك أنّ نسبة لا يُستهان بها من الطلبة الجامعيين في تخصص اللغة و الأدب لا تستطيع أن تُميّز بين الاسم والفعل والحرف فضلا على أن تُعرب واحدا منها في مستوى التركيب الكلامي، بل إنّ بين الطلبة الجدد في السنة الأولى أدب من سألته لينشئ جملة من مبتدأ وخبر فعجز عن ذلك.

إنّ لهذا المستوى من الضعف أسبابا متعددة، إلا أنّها في الغالب تعود إلى السببين الآتيين:

1_ ضعف تدريس اللغة العربية في المراحل الأولى من التعليم من جهتين:

أ) عدم الاهتمام بمثل هذه المواد(النحو) التي تعد ركيزة أساسية لها، وعدم إعطائها حقها.
ب) ضعف طريقة البرامج المقدمة لتدريسها، وكيفية تدريسها حتى أصبح المتعلّم يشعر بالجفاف لمجرد أن تُذكر له هذه المادة.
ج) انحصار اللغة المقدمة للمتعلم في زاوية التعبير الأدبي.
2_ عدم اكتراث الكثير من المتعلمين بأهميتها .
وهناك سبب آخر يخص المرحلة الجامعية، وهو توجيه الطلبة ذوي الكفاءات المنحطة والضعيفة إلى قسم اللغة العربية بعد مرحلة الثانوي، وإن كان الكثير منهم قد درس المراحل السابقة بتخصصات لا علاقة لها باللغة العربية.
ومهما كانت الأسباب فإنّ النظر فيها لا يُجدي إلا ما أمكن إصلاحه من تلك العراقيل، فكان المهم هو النظر في تحسين مستوى الطالب.

تنوعت المناهج التي تسعى إلى تحقيق الكفاية اللغوية لدى الطالب الجامعي، فاتجه بعضها إلى النظر في آليات التعبير الشفوي أو الكتابي، واتجه بعضها إلى طرق القراءة المتنوعة، لكنها ترتبط جميعا بالكفاية اللغوية المبنية على الكفاية الإعرابية(1)، أما ما ذهبت إليه الدراسات التي بحثت في تيسر النحو فاستبدلت بعض أصوله بأشياء أُستعيرت من اللسانيات الغربية فهو من الخلط كما يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح(2)، لأنّ التبسيط يتعلق بكيفية تعليم النحو لا النحو نفسه لأنه علم محض
واقترحت فيما يخص مقياس النحو والصرف ـ ومرتكز الكلام عن الإعراب ـ الطريقة التالية:

طريقة الإلمام و التصوّر:

مهما كانت وضعية الطلبة عموما في قسم الأدب إلا أنّ الأغلب عليهم أنّهم يحملون في أذهانهم شذرات ومتفرّقات عن الإعراب الذي كان يُقدّم إليهم في المراحل الدراسية السابقة على شكل دروس متفرقة ومبعثرة، في كل سنة مجموعة من الدروس ما إن ينتقل إلى السنة الأخرى إلا ويكون قد نسيها فتُقدم له أخرى، وهكذا دون جدوى، لأنّ المتعلم لا يُدرك ماذا يدرس أصلا، وإن كان في المراحل الأولى يعتمد على الحفظ أكثر، إلا أنّ الشيء المقدّم له على طريقة غير مناسبة لحفظه ومخيلته. لذا رأيت أن طريقة الإلمام والتصوّر جديرة بأن تضمن لنسبة كبيرة من الطلاب في قسم اللغة العربية أن يتداركوا الكثير مما فات.

تعتمد هذه الطريقة على أصول الإعراب وفاقا لما قدمه المتخصصون في هذه العلوم، حيث يُعلم المتلقي الأصول ثم تفرع له منها الفروع، ويُبيّن له مدى ارتباطها بعضها ببعض، خاصة وأنّ الطالب الجامعي أصبحت ملكته أكثر تهيُّؤا لهذا، فنحاول أن نوصله إلى فكرة الإحاطة بجوانب هذه المادة أو المقياس، فنبيّن له أنّ المُعرب هو الكلام، وما هو هذا الكلام، وما علامات كل قسم من أقسامه، وإذا عرف هذا يكون قد تصوّر على ما يسقط الإعراب، وعندها نبين له الإعراب بأقسامه، وضده وهو البناء، وتفاصيل كل قسم، وما يتفرع عنها.

إنّ الاعتماد على مبدأ الأصل والفرع في عرض كتاب نحوي تعليمي قد يساعد الطالب المتعلم على بناء ملكته النحوية حتى يتصور أن اللغة بُنى يُحسن التحكم فيها مَن اعتنى بتفريع الفروع من الأصول لأنّ القواعد الإعرابية وإن كانت ضرورية لتعليم اللغة فلا يتم ذلك كقواعد تحفظ بل كمثل علمية تكتسب بطريقة خاصة(3)، فيرسخ في ذاكرة المتعلم هذه المبادئ من الأول.

وفي كل ذلك نربط المتعلم بالمدونة حتى تتشكل لديه فكرة القياس، وليس المقصود تعريف المتعلم بالنظرية التي وضعت على أساسها هذه الأقيسة، بل إعطاؤه نمط المهارة المأخوذ من هذه النظرية نفسها حتى يستفيد من الجانب العلمي أيضا، ولا ينهمك نظره في الجانب التربوي. نقول هذا لكون هذه الفكرة موجهة للطالب المتخصص، وليس هذا من الخلط في شيء كما بين علماء التربية، بأن التطبيق هو استثمار للنظرية العلمية، يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح: « فقد يقول القائل إنها علوم تطبيقية، وليس الأمر كذلك لأن التطبيق هو الاستثمار لما اكتشف في مختلف العلوم، و البحث العلمي التطبيقي هو البحث عن أنجع الطرق لاستغلال ما أثبت العلماء من القوانين والمناهج، ويدخل في ذلك البحث في النحو التعليمي، وهو البحث عن أنجع الطرق للاستفادة من النحو العلمي»(4)، فهي تجربة تركز اهتمامها على المتعلم بإكسابه لملكة مهارة التصرف في البنى اللغوية بما يقتضيه حال الخطاب حتى يكون مهيأ لإكسابه علم النحو

ويسهل هذه العملية أكثر ما لو اعتمد في تمرين الطلاب على الأساليب العربية في مراحل ما قبل الجامعة- وذلك بأن يوضع التركيب المراد تلقينه إياه مع الأصل الذي يتولد منه، أو مع جملة من نظائره من التراكيب الفروع التي تشبهه حتى يستنبط بنفسه المنظومة التركيبية التي يندرج فيها هذا التركيب(5)، وهذا يزود المتعلم بالمهارة مع القدرة على إجرائها بعد أن اكتسب ملكة مزودة بالأصول ، فإذا وفق الطالب إلى المرحلة الجامعية مزود بهذه الملكة سهل تلقينه الأصول التي يكون له القدرة على إسقاطها على الأساليب العربية التي يمتلكها كملكة أساسية، فيكون لهذه الطريقة القدرة على ربط بنية اللغة بنظامها.

ومن هذا المنطلق يصبح للمتعلم القدرة على تدعيم ملكته التي سبق وأن حصّلها في دراسته السابقة باستمرار، والشيء المهم الذي يركز عليه أهل التعليمية(6). من الذين تنبهوا لهذا - ألا نقطع الصلة بين القواعد وكلام العرب، لهذا لا يكفي الشاهد الواحد لترسيخ قاعدة نحوية في ذهن المتعلم إذا لم يكن لديه مستوى أسلوبي اكتسبه من كلام العرب

وفي صميم هذا تُقدم الدروس للطالب في شكل مختصر ينبني على البيانات والمخططات التي سنعرضها، ويأتي دور الأستاذ في الحصص التطبيقية لشرح هذه البيانات وتفصيلها، لأن الذي يحتاج إلى العلم النظري هو المعلم، وحاجته إليه ناتجة عن حاجته المسيسة إلى تصوّر صحيح للمادة التي يدرّسها(7)

وسنبني كلامنا في هذا التوضيح المختصر على ما جاء في متن المقدمة الآجرومية لابن آجروم الصنهاجي، وشرح ألفية ابن مالك لابن عقيل.

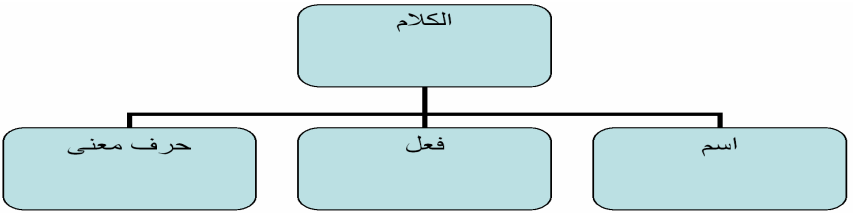

لما كان الكلام ينبني على هذا التقسيم، كان حريا بالطالب المتعلم لهذا الفن أن يبتدئ بتصوّره؛ ولأنّ مدار الإعراب عليه، فلا بد أن يتصوّر المُتعلّم في ذهنيته ما هو الكلام الذي سيعربه، وإذا أدرك أنّه اسم وفعل وحرف كان عليه أن يُميّز بين علاماتها حتى لا يقع في اللبس. فعلامات الاسم كما تبينها المقدمة الآجرومية هي قوله:

(فالاسم يعرف : بالخفض، والتنوين، ودخول الألف واللام، وحروف الخفض)(8).

لما فرغ من تقسيم الكلام بين ما يتميز به كل قسم من العلامات، فبدأ بالاسم وذكر أنه يتميز عن الفعل والحرف بأربع علامات مشهورة عند النحاة، وزاد في الألفية (النداء)(9)، ويوضحها المخطط التالي:

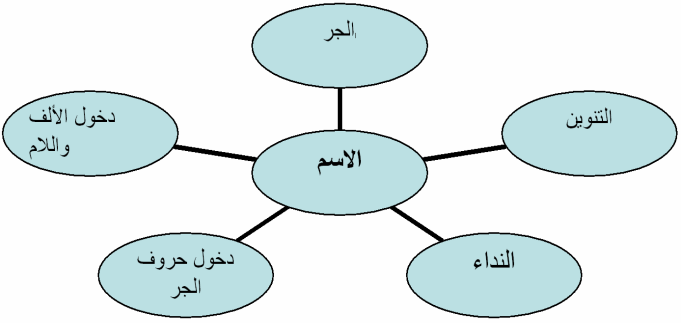

أما علامات الفعل، فجاء في الآجرومية: (والفعل يعرف بقد والسين و سوف وتاء التأنيث الساكنة)(10)، وزاد في الألفية: نون التوكيد وأدوات الجزم وتاء الفاعل(11)

وأما الحرف فيقول: (والحرف مالا يصلح معه دليل الاسم ولا دليل الفعل)(12)، أي ما لم تتوفر فيه علامة الاسم ولا علامة الفعل فهو الحرف.

وبعد أن يحصل للطالب التصوّر الفعلي لتقسيم الكلام يُبيّن له أنّ الإعراب هو النظر في آخر الكلمة عندما تكون في التركيب، فإذا حصل لها التغيّر نقول أنّها معربة، وإذا لم يحدث لها تغيّر بتغيّر موضعها داخل التركيب نحكم أنها مبنية، وعندها نبيّن له بالتمثيل والشرح أنّ الكلام الذي عرفناه منه معرب ومبني:

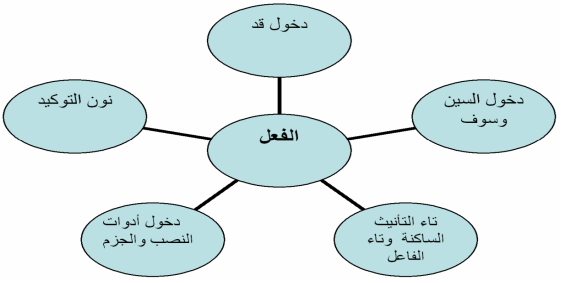

والأسماء معربة في الأصل(13) (لذا نضع مع الاسم علامة الإيجاب في خانة الإعراب)، ويُبنى بعض الأسماء لعلة الشبه بالحرف التي أصلها البناء (لذا سنضع علامة الإيجاب في خانة البناء، وعلامة السلب في خانة الإعراب للدلالة على أنه لا يوجد حرف معرب)، أما الأفعال فالماضي والأمر منها مبنيان، والمضارع معرب لشبهه بالاسم (يشبه اسم الفاعل)، ويُبنى في حالتين: - إذا اتصل به نون التوكيد فيُبنى على الفتح،- وإذا اتصل به نون النسوة فيُبنى على السكون

الكلام	الإعراب	البناء
الاسم	+	(أسماء الشرط، أسماءالاستفهام ،أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة، أسماء الأفعال، الضمائر)، وبعض الأسماء الواردة على وزن (فعال)، وأمس، وأحد عشر وأخواته، وقبل وبعد ، وكم الخبرية.
الفعل	المضارع	الماضي، الأمر، المضارع مع نون التوكيد أو نون النسوة
الحرف	-	+

ومن البيان السابق يتبين الطالب ويتصوّر أنّ الإعراب يتعلّق: بالاسم إذا استثنينا المبني منه، والاسم أصل في الإعراب، وبالفعل المضارع إذا لم يدخل عليه نون التوكيد ولا نون النسوة، والمضارع فرع من فروع الفعل الذي هو أصل في البناء(14)،

وإنما أعرب المضارع لمضارعته(مشابهته) للاسم الذي هم أصل الإعراب(15).

وهذه المعربات من الأسماء والأفعال المضارعة لها أقسام بحسب أقسام الإعراب في حد ذاته.

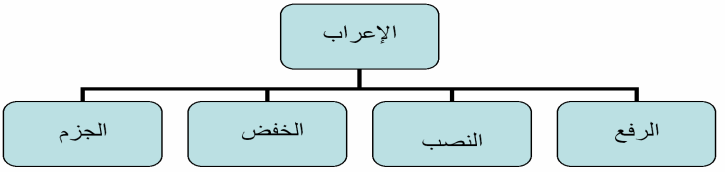

أقسام الإعراب:

ينقسم الإعراب إلى : رفع، ونصب، وخفض، وجزم، إعراب يشترك فيه الفعل المضارع والاسم المعرب: الرفع والنصب.

إعراب يختص به الفعل المضارع : الجزم(لذا سنضع علامة السلب في خانة الاسم التي تقابل الجزم).

إعراب يختص به الاسم المعرب : الجر(لذا سنضع علامة السلب في خانة الفعل التي تقابل الجر).

والطالب يتصوّر مسبقا ما هي المرفوعات، والمنصوبات، والمجرورات، والمجزومات، فتعطى له مجملة مما يساعده على الإلمام و التصوّر للموضوع، وهذا ما اعتمده صاحب المقدمة الآجرومية في كتابه، ويوضحه المخطط التالي:

أقسام الإعراب	المرفوعات	المنصوبات	المجرورات	المجزومات
الأسماء	1- الفاعل 2- نائب الفاعل 3- المبتدأ 4- خبر المبتدأ 5- اسم كان وأخواتها 6 - خبر إن وأخواتها 7- التوابع [النعت والمعطوف والبدل وعطف البيان والتوكيد]	1- المفعول به 2- المفعول المطلق 3- المفعول لأجله 4- المفعول فيه 5- المفعول معه بعد واو المعية 6- اسم إن وأخواتها 7- خبر كان وأخواتها 8- الحال 9- المنادى المعرب 10- المستثنى بعد إلا 11- التمييز 12- التوابع إذا كان متبوعها منصوبا	1- المجرور بالحرف 2- المجرور بالإضافة 3- التوابع إذا كان متبوعها مجرورا	—
الأفعال	8- الفعل المضارع	13- الفعل المضارع المسبوق بأدوات النصب	—	الفعل المضارع المسبوق بأداة جزم

فتتمثل الكفاية الإعرابية في المقدمة الآجرومية في رصد الوظائف الإعرابية في مجاميع منتظمة مبنية على مقدمات كلية يمكن أن تصاغ صياغة رياضية، وهذه الكفاية تعتمد على تقديم القانون النحوي في شكل رموز مما يساعد على إبراز العلاقات البنوية التي تربط عناصر اللغة فيسهل على المتعلم تصور النحو النظري

وهذا الكتاب يركز على الاهتمام بالأصول قبل الفروع، مما يجعل من المتعلم قادرا على الإلمام بالتراكيب التي تنتمي إلى باب واحد، كما ييسر له القدرة على التصور، لأن الأصول تمتاز عن فروعها ببساطتها(16)

ولكل قسم من أقسام الإعراب له علامات تخصه:

الرفع: علاماته: الضمة، و الواو، والألف، و النون.

النصب: علاماته: الفتحة، والألف، والكسرة، والياء، وحذف النون.

الخفض: علاماته: الكسرة، والياء، والفتحة.

الجزم: علاماته: السكون، والحذف(حذف حرف العلة، وحذف النون).

ولكل علامة من علامات الإعراب مواضع من الكلام تختص بها (في الاسم، أو الفعل المضارع)، والبيانات التالية تلخص ذلك:

المرفوعات:

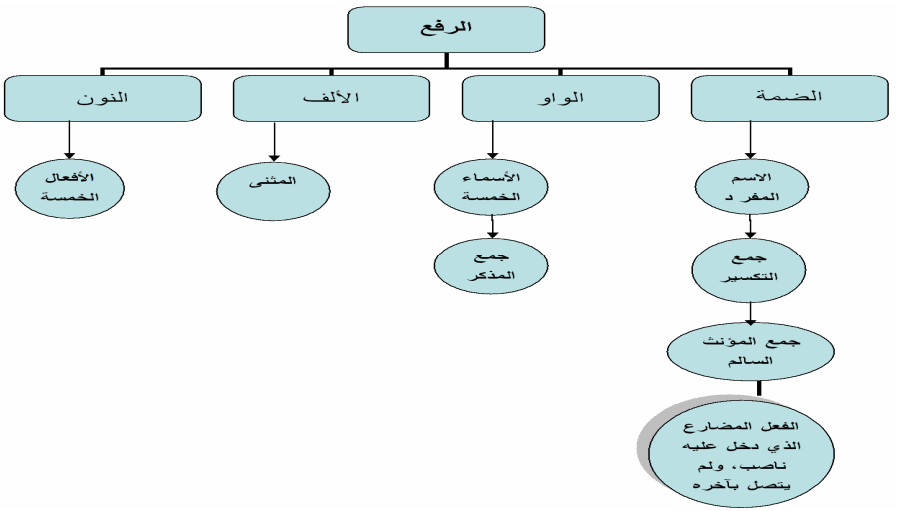

وإذا تصوّر الطالب أنّ الرفع يكون للفاعل، ونائبه، والمبتدأ، وخبره....يشرح له من المخطط السابق على سبيل المثال: أنّ الفاعل قد يرفع بالضمة، وقد يُرفع بالواو، وقد يُرفع

بالألف....وهكذا بقية المرفوعات من الأسماء. يُقال عنها ثرفع بالضمة إذا كانت: اسما مفردا أو جمع تكسير، أو جمع مؤنث سالم، وثرفع بالواو إذا كانت من الأسماء الخمسة، أوجمع المذكر السالم

والفعل قد يُرفع بالضمة أو بثبوت النون؛ فإذا كان من الأفعال الخمسة رُفع بثبوت النون، وإن لم يكن من الأفعال الخمسة رُفع بالضمة الظاهرة أو المقدرة إن كان معتل الآخر.

وهكذا دواليك يكون الكلام عن المنصوبات و المجرورات و المجزومات التي تلخصها المخططات التالية:

المنصوبات:

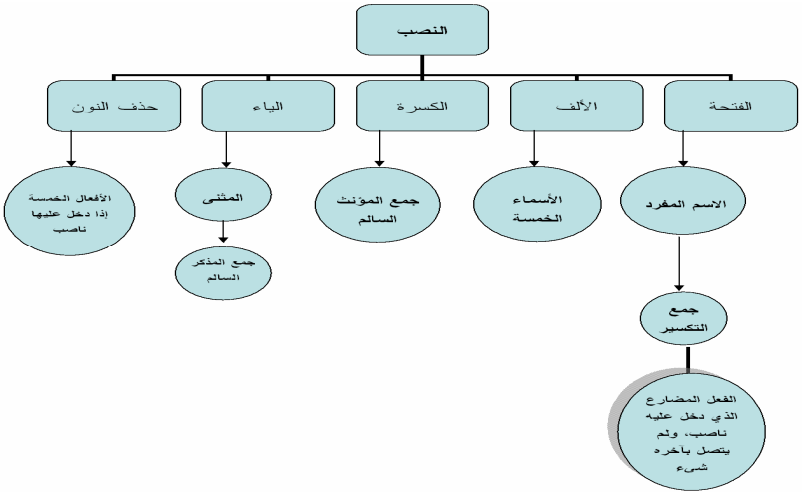

المخفوضات:

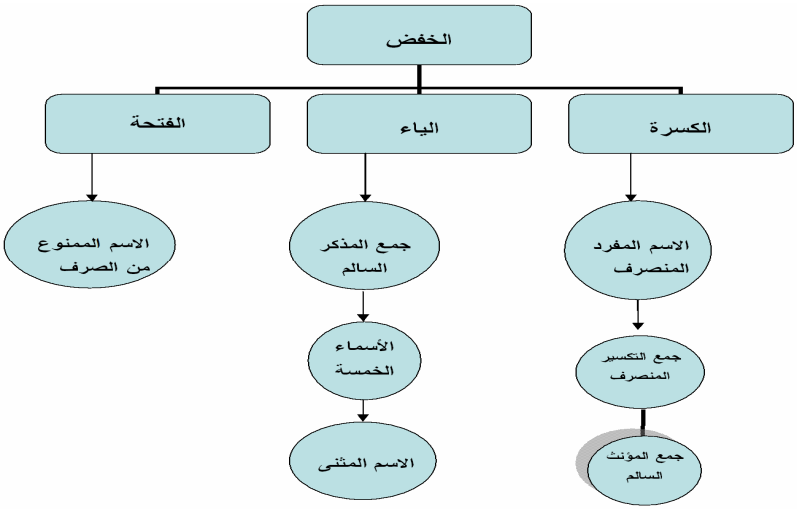

المجزومات:

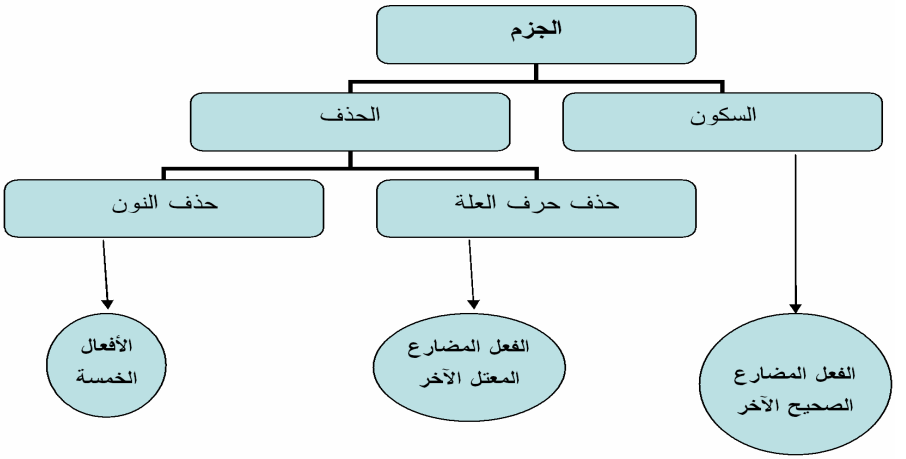

وبعد أن نبيّن لطالب الأدب السنة الأولى جامعي هذه المخططات، نوضّح له الآن أنّ تراكيب الكلام تتفرع وتتشكل بناء عليها، فالجملة الاسمية من المبتدأ و الخبر، وهي الأصل(17)، ثم الجملة الفعلية من الفعل، والفاعل، والمفعول به إذا كان الفعل متعدّيا، وهذه التراكيب عمدة في كلام العرب، وهذا مبنى كلامهم ، وتراكيبهم، وما زاد عنه فهو فروع تعد فضلة، كالحال و الظرف... أو تابع كالعطف والتوكيد و النعت و البدل.

هذا ويُكتفى في السنة الأولى بشرح عمدة الكلام، من جملة اسمية أو فعلية، ثمّ في السنة الثانية يكون الطالب المتخصّص قد تهيّأ لمعرفة ما يزيد عن الجملة الفعلية مما ليس عمدة، كأنواع المفاعيل(المفعول لأجله، المفعول فيه، المفعول معه، المفعول المطلق،...)، ثم التوابع التي تتبع الكلمة في الجملة الاسمية أو الفعلية.

وأما بقية المعربات من النداء، والاستغاثة والندبة، الاستثناء، والحال، والتمييز، وبعض المسائل المتعلقة بالعمل الإعرابي من اشتغال، وتنازع، إغراء، وتحذير مما فيه العامل، وحذفه،... تدرّس للطالب المتخصص في السنة الثالثة لأن مسألة العمل النحوي ـ وهي مبنى كلام النحاة في بنائهم للقانون النحوي(18) ـ من أعقد المسائل التي تحتاج إلى تصوّر فتترك إلى هذه السنة حتى يكون المتخصّص أكثر نضجا واستعدادا.

إن هذه التجربة المبنية على التصور الذهني للمتعلم تعتمد أساسا على مدى معرفتنا لارتباط اللغة بالفكر(19)، وهي تجربة منهجية تيسر كلفة التبليغ اللغوي في عملية التعليم لاعتمادها على الالمام والتجميع في تلقين المتعلم لهذه الأصول، والأصول أقل تكلفة من الفروع.

ومما يُمكن أن أقترحه وأراه مجديا ما يأتي:

ـ لابد من تغيير جذري للوضع التعليمي، والخروج من الطرق التقليدية التي تسير عليها المناهج التعليمية.

- الاهتمام بهذا المقياس الذي يُعد ركيزة المواد اللغويه، وإعطائه القدر الكافي من الوقت فلا يكفي فيه الحصة الواحدة في الأسبوع، وإعطائه القدر الأعلى من المُعامل في حساب المعدلات.

- الاهتمام ببرمجة هذا المقياس من طرف اللجنة المتخصصة من الأساتذة، تأليف هذه البرمجة في كتاب خاص يُعتمد على المستوى العام للكلية لدى الطلبة المتخصصين، وتكون برمجتها معتمدة من طرف المجلس العلمي للكلية.

هذا على المستوى المدروس، وعلى المستوى البعيد يُمكن أن نقول يجب إعداد لجنة خاصة على المستوى الجامعي من الأساتذة المتخصصين، وذلك لإعادة النظر في بناء برنامج وطني ومن ثمة يمكن تعميمه.

الهوامش:

(1)- أنظر: رسالة المجلس، ديسمبر 1997 ، العدد الثاني،(تعليم اللغة العربية في التعليم الأساسي وإمكانية استفادته من البحوث العلمية الحديثة)، عبد الرحمن الحاج صالح، ص17،18

وانظر: الموسى نهاد، الأساليب في تعليم اللغة العربية مناهج ونماذج، ط1، دار الشروق ـ عمان، 2003 ، ص 163ـ 181

(2)- مجلة اللسانيات، (أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية)،عبد الرحمن الحاج صالح، العدد الرابع، 1974/1973 ، ص66

(3)- نفسه، ص66

(4)- مجلة المجمع الجزائري للعة العربية، العدد الرابع، السنة الثانية، ذو القعدة 1426هـ/ ديسمبر 2006م ، (تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي)، عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- وحدة الرغاية، الجزائر2006

(5)- أنظر المرجع نفسه، ص 164/ 165/ 167، وأنظر: مجلة اللغة و الأدب، جامعة الجزائر، العدد الثاني، (اللسانيات و تعليم اللغات، للويس دابن)، ترجمة: خولة طالب الإبراهيمي، ص156

(6)- مثل الأستاذ عبدالرحمن الحاج صالح، أنظر المرجع نفسه، ص170

(7)- مجلة اللسانيات، (أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية)،عبد الرحمن الحاج صالح، العدد الرابع، 1974/1973 ، ص41

(8)- شرح المقدمة الآجرومية، محمد بن صالح العثيمين، ط1: 1426هـ /2006م، المكتبة الإسلامية- القاهرة، ص15 وما بعدها.

(9)- شرح ألفية ابن مالك، ابن عقيل، دار الفكر للطباعة و النشر- بيروت، لبنان، 1421هـ/ 2001م، ص13وما بعدها

(10)- شرح المقدمة الآجرومية، ابن عثيمين، ص17 وما بعدها

(11)- شرح ألفية ابن مالك، ابن عقيل، ص15

(12)- شرح المقدمة الآجرومية، ابن عثيمين، ص17 وما بعدها

(13)- أنظر: المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني.ت: كاظم بحر المرجان،دار الرشيد -العراق - 1982 ، 103/1 ، 107/1-180/1

(14)- أنظر:/ الكتاب، سيبويه، ت: عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي- القاهرة، ط3: 1408هـ/1988م، 4أجزاء. الجزء1، الباب الأول: هذا باب علم ما الكلم من العربية، ص13، والمقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني: 180/1

(15)- نفسه، ج1: هذا باب من اسم الفاعل الذي جرى مجرى الفعل المضارع .ص164

(16)- راجع فكرة الأصل و الفرع في هذا الشأن: مجلة اللسانيات، (أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية)،عبد الرحمن الحاج صالح، العدد الرابع، 1974/1973 ، ص64

(17)- أنظر: المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني،111/1

(18)- أنظر: المصدر نفسه، 101/1

(19)- أنظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر2007 ، ج1، ص130